

الى رجال التعليم

بقايا التركية

في لغة مصر الرسمية

للأستاذ أبي خلدون ساطع بك الحصري

مدير دار الآثار العربية بالعراق

نستطيع أن نقول إن معظم النعوت والألقاب المستعملة في مصر هي من بقايا ذلك الحكم . ولا سيما الكلمات والتعابير التي تدل على الرتب الملكية والعسكرية ، فكلها ترجع إلى منشأ تركي بدون استثناء . فان كلمات « بك ، أفندي ، باشا ، هاشم ، تركية الاصل . مع هذا تستعمل في مصر كالكلمات العربية ، ويقال لذلك « بكوية وبكوات » و « باشوية وباشوات » ، أفندية ، وهوانيم ، ، وما يجب ملاحظته أن هذه الألقاب ألغيت في تركية أخيراً واستبدلت بكلمة « باي » للرجال و « بايان » للنساء .

فمن يتتبع الجرائد التركية الآن لا يجد فيها أثراً للكلمات التي بحثنا عنها ؛ غير أن من تصفح الجرائد المصرية يصادف في كل نسخة منها مئات

وما يستلفت الأنظار أن الألقاب الرسمية التي تستعمل في مصر عند ذكر أصحاب الرتب أو مخاطبتهم — مثل : صاحب العزة ، صاحب السعادة — أيضاً تمت بقرابة إلى العهد التركي ، بالرغم من مظهرها العربي : فان الأتراك عندما أرادوا أن يضموا لقباً خاصاً بأصحاب كل رتبة من الرتب الملكية والعلمية ، اقتبسوا من العربية كلمات كثيرة ، مثل « رفعة ، عزة ، سعادة ، عطوفة ، دولة ، فخامة ، فضيلة ، سماحة ، سيادة ، عناية ، عصمة . » وأضافوا إلى آخر كل واحدة منها حرف « لوة » الذي يعرف في قواعد الصرف التركي باسم « أداة المصاحبة » فقالوا « . . . عزتلو ، سعادتلو ، دولتلو ، فخامتلو ، فضيلتلو ، سماحتلو . . . » إن هذه النعوت والألقاب استعملت في مصر مدة غير قصيرة بصيغتها التركية ، ثم استبدلت فيها « أداة المصاحبة » التركية بتعبير « صاحب » . . . العربية ؛ فتحولت بذلك هذه الألقاب إلى « صاحب العزة ، صاحب السعادة ، صاحب الدولة ، صاحب الفضيلة . . . » فنستطيع أن نقول : إن هذه الألقاب تركية بمدلولاتها الحالية ، وإن كانت عربية بألفاظها الأصلية . وإلا فلا يوجد أي سبب معقول لاعتبار « الفضيلة » خاصة برجال الدين ، ولا لاعتبار « السعادة » أكبر من « العزة » ، ولا لاعتبار « الفضيلة أو العزة أو السعادة » من النعم التي يستطيع أن يحصل عليها الإنسان عن طريق انعام الملوك والحكومات . . .

وأما أسماء الرتب العسكرية المستعملة في مصر ، فبعضها تركية بحجة مثل شاويش ، باشاويش ، أونباشي ، يوز باشي ، بيك باشي ، . . . فان اللفظة الأولى كلمة مفردة ، والأربع الباقية كلمات مركبة ، تعني « رئيس الشاويشية » ، رئيس العشرة ، رئيس المائة ، رئيس الألف . . . وهناك أسماء وتب عسكرية مؤلفة من كلمة تركية وكلمة عربية ، حسب

لقد لاحظ العلماء الذين توغلوا في درس الحوادث الاجتماعية للسانية ، أن الكلمات كثيراً ما تنتقل من لغتها الأصلية إلى اللغات الأخرى حسب العلاقات التي تنشأ وتتوثق بين الأمم التي تتكلم بها ، وقد تندمج هذه الكلمات في اللغة التي دخلت عليها ؛ فتتظم في سلك كلماتها الأصلية وتتكيف بمقتضيات قواعدها الخاصة ؛ وقد تولد نسلها جديداً في موطنها اللغوي الجديد ، يختلف عن النسل الذي كان قد تولد منها في موطنها الأصلي اختلافاً كلياً

أما أنواع الكلمات التي تنتقل بهذه الصورة من لغة إلى لغة ، فتتبع — بطبيعة الحال — أنواع العلاقات التي تحدث بين الأمم التي تتكلم بها : فالمعاملات التجارية تؤدي إلى انتقال الأسماء مع الأشياء والأصناف ، والنفوذ العلمي يسبب انتقال المصطلحات العلمية مع الآراء والمعلومات ، والسيطرة السياسية تؤدي إلى انتشار الكلمات والتعابير المستعملة في الأنظمة الإدارية والعسكرية . والكلمات والمصطلحات التي تدخل على اللغة بسبب هذه العلاقات المتنوعة ، تبقى فيها عادة حتى بعد انقطاع تلك العلاقات . . . ولهذا السبب نجد العلماء الذين يستكشفون الحقائق في مجاهيل التاريخ يستندون في بعض الأحوال إلى « مقارنة الألسن » وتتبع الكلمات ، في استدلالهم المتعلقة بالحوادث التاريخية والتطورات الاجتماعية .

لعل الآثار التي تركتها التركية في مصر ، ولا سيما في لغة الدواوين الرسمية ، من أبرز الأمثلة وأقربها إلى ما أسلفنا . إذ أننا إذا استعرضنا عناوين الوظائف الرسمية في جداول الميزانية ودليل التليفون وتصفحنا بعض النشرات الرسمية ، وتبعنا بضعة أعداد من الجرائد اليومية ، فوجدنا الكلمات والتعابير التركية التي نصادفها خلال هذا البحث السريع . . . دهشنا من كثرة الكلمات والتعابير الباقية من عهد الحكم التركي في مصر

النظم العسكرية الجديدة؛ ومن المعلوم أن المدة التي مضت منذ ذلك التاريخ تهاجر القرن الكامل

هذا، وما يجدر بالانتباه أن قاموس الاصطلاحات العسكرية المصرية يحتوى على بعض الكلمات الفارسية أيضاً - مثل، يادة، سوارى، ياور، سردار - غير أن هذه الكلمات لم تدخل على العربية من الفارسية مباشرة، بل دخلت عليها بواسطة التركية. ولذلك يجب علينا أن نعتبر هذه الكلمات أيضاً من بقايا الحكم التركي بالرغم من أصلها الفارسي

كذلك كلمة «حكم دار» أيضاً تشبه الكلمات المذكورة آنفاً، إذ أنها مركبة من كلمة «حكم» العربية وكلمة «دار» الفارسية، فمعناها اللغوي عبارة عن «صاحب الحكم». غير أن معناها الاصطلاحى المعروف في مصر يختلف عن معناها الدارج في تركيا، إذ أن تعبير «حكم دار» لا يستعمل في التركية إلا للدلالة على «المولوك» هذا وإذا استعرضنا عناوين الوظائف والخدمات المختلفة نجد

بينها أيضاً عدداً كبيراً من التعبيرات التركية

أولاً، سلسلة كبيرة من التعبيرات التي تحتوى على كلمة «باش» التركية: باش كاتب، باشمفتش، باشمهندس، باشمعاون، باشمحضر، باش صراف، باش حكيم، حكيماشى، خاخامباشى، باش ساعى، باش فراش، باش طباخ، باش جنائى، باش بستانى، باش ميكانيكى، باش أدلاء، باش رئيس البحرية، باش رئيس المطافى. فإذا أنعمنا النظر في هذه التعبيرات نجد أن كلماتها الأساسية عربية، غير أنها موصولة بكلمة «باش» وفقاً لقواعد اللغة التركية، وإذا بحثنا عن منشأ هذه التراكيب نجد أن نصفها الأول مستعمل في التركية أيضاً - غير أن نصفها الأخير لم يستعمل في التركية أبداً. فنستطيع أن نقول إن القسم الأول منها (من باش كاتب إلى خاخام باشى) مقتبسة من التركية. وأما القسم الثانى (من باش ساعى إلى باش رئيس المطافى) فتحدثت في مصر نفسها. قياساً على التراكيب المماثلة المستعملة في التركية

ثانياً، سلسلة غير قصيرة من التعبيرات التي تحتوى على أداة «جى» التركية: تليفونجى، تلفراجى، بوسطه جى، نوفكجى، نيشانجى، تعليمجى، مخزنجى، محاسبجى، قهوجى، سفرجى، عطشجى، عربجى، قشجى، اجزاجى، تيارجى، جاشمجبى، مطبجى، استنجى، جزجى، مكوجى، أشارجى، ناضوجى، مفتاحجى. وما يجب التنبيه إليه أن التراكيب الأربعة الأخيرة ليست مستعملة في التركية، مما يدل على أنها استحدثت في مصر قياساً على أمثالها. وغلاوة على كل ما تقدم نذكر فيما يلى الكلمات التركية التي صادفناها في النشرات الرسمية:

الاستعمال التركي: مثل «بلوكامين» بمعنى أمين الرهط، و «ميرآلاى» بمعنى آمر الكتيبة..

وأما كلمة «صاغ» التي تدل على إحدى الرتب العسكرية في مصر، فتركية أيضاً؛ غير أنها لا تستعمل في التركية للدلالة على رتبة من الرتب العسكرية أبداً. لأن معناها اللغوي عبارة عن «أيمن»؛ فليس من المعقول طبعاً أن يسمى أحد باسم «الأيمن»، نظراً لرتبته العسكرية. وأما كيف صارت هذه الكلمة لقباً لأحدى الرتب العسكرية في مصر، فلا يتضح إلا بمراجعته تاريخ الألقاب العسكرية في تركيا: إذ يوجد في الجيش التركي رتبة عسكرية تسمى باسم «قول آغاسى» بمعنى «أمير الجناح». وبما أن القطع العسكرية كانت تقسم إلى جناحين، كانوا يقسمون هذه الرتبة قبلاً إلى درجتين فيسمون الأولى «صاغ قول آغاسى» بمعنى «أمير الجناح الأيمن»، ويسمون الثانية «صول قول آغاسى» بمعنى «أمير الجناح الأيسر». غير أنهم وحدوا الدرجتين مؤخراً، فحذفوا كلمات «صاغ» و «صول» من هذه الألقاب، واقتصروا على تسمية الرتبة بـ «قول آغاسى» أى «أمير الجناح». ويظهر أن لفظ «صاغ قول آغاسى» كان يستعمل في مصر أيضاً؛ غير أنه اختصر مؤخراً، بدون ملاحظة معاني الكلمات التي يتألف منها، فجرى الاختصار عن طريق حذف الكلمتين الأخيرتين، والاحتفاظ بالكلمة الأولى وحدها. وبما أن الصفة في اللغة التركية تقدم على الموصوف، كما أن المضاف إليه يتقدم على المضاف، صار هذا الاختصار بمثابة حذف كلمتي «أمير» و «الجناح» والاحتفاظ بكلمة «الأيمن» وحدها، وبهذه الصورة أصبحت كلمة «صاغ» التركية، التي تدل على «اليمين» أو «الأيمن»، اصطلاحاً على رتبة من الرتب العسكرية المصرية

غير أن الكلمات التركية المستعملة في الجيش المصرى لا تنحصر في أسماء الرتب العسكرية التي أسلفنا ذكرها. بل إن المصطلحات العسكرية التالية أيضاً تمت إلى منشأ تركى صريح؛ بلوك، تابور، آلاى، أورطة، قيشلاق، قره قول، طوبجى، نوبتجى..

إن كلمة «أورطة» تستحق النظر والتأمل بوجه خاص: فإن هذه الكلمة من التعبيرات الدارجة في تشكلات مصر العسكرية وهي تدخل في التراكيب مثل الكلمات العربية، فيقال مثلاً «الأورطة الثالثة» و «استعراض الأورطتين» و «أعلام الأورط» كما يقال «أورطته» «أورطتيه» «أورطتهما»... مع أنها من الكلمات التركية المهجورة في تركيا نفسها. فإن استعمالها في الجيش التركى قد طال منذ عهد بعيد، يرجع إلى تاريخ إفناء الانكشارية، وإحداث

إتنا نعتقد بأن أسباب ذلك تعود إلى تباين الظروف التي حدث فيها انفصال هذه الأنظار العربية المختلفة عن الدولة العثمانية : فإن انفصال مصر حدث قبل أن يستقظ الشعب بقظة مقرونة بشعور قومي واضح ، واللغة العربية استولت على الدواوين المصرية بصورة تدريجية ، دون أن تضطر إلى الاصطدام مع اللغة التركية والقيام عليها بحركة عنيفة . وهذا ما جعل مصر متساهلة مع الكلمات التركية ومضيفة لها ، بل لا نقالي إذا قلنا : غير منتبهة إلى أعجميتها .

وأما انفصال سورية والعراق عن الدولة العثمانية ، فلم يحدث إلا بعد حوادث كثيرة أدت إلى إيقاظ الشعب بقظة مقرونة بشعور قومي واضح واللغة العربية لم تصبح رسمية هناك إلا بعد أن حدثت مشادة بينا وبين التركية وبعد أن مزج هذه المشادة شيء غير قليل من العنف من الطرف الواحد ومن الثورة من الطرف الآخر . فقد قامت في سورية والعراق ، في أواخر العهد العثماني ، جمعيات عديدة تطالب بـ : حق التعلم والتعليم بالعربية ، وحق المرافعة والمراجعة بالعربية ، تارة بالطرق السياسية ، وطوراً بالطرق الثورية . ولم تنل تلك البلاد هذا الحق ، بصورة فعلية إلا بعد الحرب العالمية ، فعند ما تألفت الحكومة العربية في سورية أسرع إلى تحويل لغة الدواوين إلى العربية بمجد وحماس ؛ فلا نقالي إذا قلنا إن المصطلحات التركية خرجت من الدواوين هناك مع خروج الموظفين الأتراك منها . والحكومة العراقية التي تأسست بعد سقوط الحكومة العربية السورية أيضاً أخذت حذوها في هذا الباب ؛ وزيادة على ذلك وجدت أمامها متسعاً من الوقت لآتمام عملها في تكوين مجموعة المصطلحات الإدارية والعسكرية من الكلمات العربية التي لا تشوبها شيء من الأعجمية

هذه هي سلسلة الحوادث والأسباب التي وجهت الأمور في سورية والعراق إلى اتجاه يختلف عن الاتجاه الذي سارت عليه في مصر في هذا المضمار . . .

مع هذا ، لا بد من الإشارة إلى أن هذه الأسباب تعود إلى النشأة الأولى وظروف الانفصال فأدت إلى إبقاء هذه المصطلحات في لغة الدواوين المصرية إلى الآن . غير أنه يجدر بنا أن نتساءل : هل هذه الأسباب تتضمن دوام هذه المصطلحات بعد الآن أيضاً ؟ إتي لا أتردد في الإجابة على هذا السؤال بالنفي . فلا أستبعد أن يصبح معظم ما كتبه آتفاً حكاية ماض ، - في عهد مصر الحديث - بعد مدة وجيزة من الزمن

أبو خلدون
ساطع الحصري

بغداد

فان ، ليمان ، بوغاز ، أورمان ، كوبري ، قزان ، طولبة ، بوري ، باشبوري ، أوضه ، قاروش ، آغا ، ترزي . وهذه الكلمات تدخل في تراكيب بعض التعبيرات مثل : مصلحة اللبانات والفنارات ، حديقة الأورمان ، أوضه المحامين ، الطلبات الأميرية ، تعمير القزانات ، مصلحة الكباري . كما نذكر فيما يلي الكلمات الفارسية التي صادفناها في تلك النشرات ، والتي انتقلت إلى مصر بواسطة التركية أيضاً سراي ، شكل ، كلم ، نيشان ، أورنيك ، ماهية ، رفت ، خانه . . . وما يجدر بالذكر أن الكلمة الأخيرة تدخل في تراكيب كثيرة مثل : أجزخانه ، كسبخانه ، دفترخانه ، بطركخانه ، سلخانه . جبهخانه ، بمكخانه ، أدبخانه ، عربخانه ، شفقخانه ، مهندسخانه .

بعد أن ألقينا هذه الـ السريعة على اللغة الرسمية في مصر يجدر بنا أن نقوم بمقارنة عامة بين دواوين مصر وبين دواوين سورية والعراق في هذا الموضوع من الغريب أن هذه المقارنة تظهر لنا تبايناً عظيماً في الأمر : إذ بينما نجد أن دواوين مصر مضيفة لجميع هذه الكلمات الدخيلة والمصطلحات الأعجمية نجد أن دواوين سورية والعراق - بعكس ذلك - مجردة منها ومتعصبة عليها . .

هذا . . مع أنه قد مضى على انفصال مصر عن تركيا عهد طويل ، في حين أنه لم يمض على انفصال سورية والعراق عنها إلا زمن قصير ، ومع أنه لا يشاهد في مصر أثر للقوانين الموضوعة في العهد التركي ، في حين أن عدداً غير قليل منها لا تزال نافذة في سورية والعراق . . ومع أن أنظمة الحكومة المصرية مختلفة عن الأنظمة التركية اختلافاً كلياً في حين أن أنظمة سورية والعراق لم تتباعد عنها إلا تباعداً جزئياً . . ومع أن الذين يعرفون التركية بين موظفي الحكومة المصرية قليلون جداً ، في حين أن عددهم كثير في سورية والعراق . . ومع أن اللغة الفصحى منتشرة في مصر انتشاراً كبيراً ، ودراسة الآداب العربية متقدمة فيها تقدماً عظيماً ، في حين أن كل ذلك لا يزال محدوداً في سورية والعراق

فيجدر بنا أن نتساءل عن أسباب هذه الأحوال والحوادث المتناقضة : كيف أن مصر حافظت ، ولا تزال تحافظ ، في دواوينها الرسمية على هذه المصطلحات الأعجمية ، بالرغم من قدمها في الانفصال وتقدمها في فصاحة القلم واللسان ؟ وكيف أن حكومات سورية والعراق - بعكس ذلك - تخلصت في دواوينها من جميع تلك المصطلحات ، بالرغم من قرب عهدها في الانفصال وحدائه دخولها في مضمار فصاحة الإنشاء والبيان ؟